تغري بالزيارة، حيث ومن العاصمة "باكو" وما تزخر به من أمكنة سياحية ومطاعم بأطباق شهية تعود بك إلى زمن ألف ليلة وليلة بنغمات موسيقية تراثية تروي لك كل الحكايات، تستقبلك منطقة "قراباغ" بمدنها التي طالها التجديد وهي تحافظ على أصلها، وفي طليعتها مدينة" شوشا" وجبلها الشاهد على رائحتها الزكية.

- السياسة الخارجية والدبلوماسية المتطورة:

زيارتي ضمن وفد إعلامي لجمهورية "أذربيجان"، جاءت أيضًا عن طريق ديبلوماسية متمكنة، أكدت اعتماد البلاد على سياسة خارجية تكرس رغبتها في الانفتاح على العالم من منطلق واسع، وبأهداف تسعى إلى خلق تعاون وشراكات مع مختلف الأقطار ودول العالم نحو تحقيق منافع مشتركة في مختلف الميادين، وأولها: مجال الاقتصاد، وما يليه من شراكات مجتمعية في الحقول الثقافية والفنية والرياضية، وهي ميادين تسهم بشكل جلي في التقريب بين الحضارات والشعوب.

كل هذا يحظى بدعم التمثيليات الديبلوماسية في مختلف أرجاء العالم التي تشتغل وفق برامج دقيقة وفاعلة تزيد من مخزون معرفة باقي دول العالم بجمهورية "أذربيجان"، بتعاون مع جمعيات مدنية ومؤسسات فكرية ومعاهد وجامعات تعليمية أكدت مشاركتها ومساهمتها في تنظيم عدة فعاليات وأنشطة لها من الأبعاد ما يكرس رغبة التعاون.

إنَّ دور الدبلوماسية الأذربيجانية عبر وزارة الخارجية، نجحت بفضل برامجها في تكريس الصورة الحقيقية للجمهورية لدرجة بات مصدر اهتمام وتقدير العالم الذي لم يتردد في وضع ثقته في مؤسسات "أذربيجان" من أجل تنظيم واحدة من أهم التظاهرات العالمية والمتعلقة بمؤتمر الأمم المتحدة للتغير المناخي "كوب 29"، وهو أمر له أكثر من مؤشر ودلالة، يؤكد المكانة المتطورة التي وصلت إليها جمهورية "أذربيجان" على المستوى الدولي، هذا مع التذكير أنَّ للجمهورية خبرة سابقة وناجحة في تنظيم تظاهرات عالمية، و تم أيضًا ترشيحها لاستضافة مؤتمر الأطراف السابع عشر المقبل في اتفاقية الأمم المتحدة بشأن التنوع البيولوجي في عام 2026. ✹

اكتشف أذربيجان

رسمت في وجوهنا ملامح الإعجاب والتقدير، لمكونات جمعت بامتياز كبير بين الماضي المتجذر في أعماق التاريخ والحاضر البهي المعاصر بتكنولوجياته الحديثة والمتطورة.

هنا بـ"باكو" المنتمية لأرض النار، نظراتك لا تتوقف في ملامسة الواقع نحو الأعلى، حيث العمارات الشاهقة من الطراز العالمي الحديث، وفي اتجاه أمكنه تصونها أبواب تاريخية، وبداخلها قصص تحكي بشوق كبير ومتعة، وغير بعيد تصادف جبل النار الذي يروي والعهدة عليه، تفاصيل حقبة تحكم فيها عبدة النار، ودعمتها قوافل تجار الحرير.

لكن تعود لتستنشق رائحة زرابي المساجد بها، وأنت تصلي بين جدرانها باسم الإسلام الذي يعتنقه الشعب الأذربيجاني بنسبة تفوق 95 في المائة من سكانه، وعددهم يفوق بقليل 10 ملايين نسمة.

كل المؤشرات والأمكنة، تؤكد أنَّ مستقبل السياحة سيكون قريبًا نحو "أذربيجان"، تلك اللؤلؤة القوقازية التي

فرد من إفراد مجتمعها، لتعلن عن مخطط في غاية الأهمية وبأهداف عظيمة، بدأ في إعطاء انطلاقة العودة للديار، وأي ديار ... أحياء ومنازل تم إعادة بنائها وتشييد مرافقها بإمكانيات عالية ومستويات متميزة.

إذا كانت "العودة الكبرى" تجسد حالة إنسانية تثلج الصدر، وتنعش الروح، فإنها أيضًا تبرز ما تتوفر عليه جمهورية "أذربيجان" من إمكانيات اقتصادية هائلة، وما تتميز به من حسن تدبير وإدارة شؤونها المالية، وإرادة فعلية في خدمة الفرد والمجتمع، حيث صرح رئيس الجمهورية "إلهام علييف"، أن معدل التضخم المالي بلغ ما يزيد قليلًا عن 1 في المائة منذ بداية العام الجاري 2024، وهذا مؤشر إيجابي جدًّا، كما أكد الرغبة في تنويع الاقتصاد وتطوير نموذج التنمية المستدامة وتحسين رفاهية عيش المواطنين في كل فئات المجتمع.

كل هذا، ورغم ما هو مطلوب من أجل إعادة بناء "قراباغ" و"زنكزور" الشرقية، تعمل "أذربيجان" قصارى جهدها لخدمة أفراد المجتمع؛ إذ سيتم الزيادة في الحد الأدنى للأجور والحد الأدنى للمعاشات التقاعدية في العام المقبل 2025.

- السياحة بـ"أذربيجان".. متعة بطعم المعاصرة الأصيلة:

قبل أن تطأ رجلي أرض "أذربيجان"، أعترف أنه لم تكن معرفتي بها تتعدى موقعها الجغرافي وانتماءها السياسي الذي مضى، كدولة منتمية للاتحاد السوفياتي سابقًا، وما عاشته من جراء احتلال جزء مهم من أراضيها من طرف الجيش الأرميني الذي عاد أدراجه فور إعلان حرب 44 يومًا.

وبالرغم أن عدد أيام الفترة التي قضيتها بها لا يمكن أن يكون كافيًا لالتقاط صورة شاملة ولو نسبيًّا لكل أجواء هذا البلد وحيثياته، لكن عاصمتها "باكو" التي استقبلتنا بأجوائها ومرافقها المتنوعة،

والفنية والإبداعية وغيرها من المجالات التي نسجت بساط الأصالة الأذربيجانية المحتضن لوجودها المعاصر، ولما تتوفر عليه من قدرات وإمكانيات وفكر تدبيري لشؤون المجتمع، بفضل سياسة حكيمة همها بالدرجة الأولى خدمة الإنسان وصناعته.

وهكذا نجد "أذربيجان" اليوم، دولة كاملة المزايا والأوصاف، عبر مؤسسات كثيرة ومتخصصة في كل شؤون المجتمع، انطلاقًا من مؤسسات التعليم من مدارس ومعاهد وجامعات يتم تسييرها بكل اللوازم وما يحتاج إليه المسار في بناء شباب متمكن بالعلم والمعرفة، والقدرة على الزيادة في تنمية البلد، وتطوير مكانته على المستويين الإقليمي والدولي.

العودة الكبرى... واقتصاد "أذربيجان" بألف خير:

على المستوى الاقتصادي، لن أغوص في تفاصيل أو في أرقام، ولكني أفضل أن أترك وقائع مجتمعية لها من القدرات ما يؤكد سلامة الاقتصاد الأذربيجاني الذي يعده المتخصصون بالاقتصاد القوي.

فإلى جانب أن قوة الاقتصاد تنطلق من أساس النفط والغاز، فهناك في نظري ما هو أهم من ذلك والمتعلق بطبيعة السياسة الاقتصادية وطرق تدبير خيرات البلاد، بفضل إرادة رئاسية تشترك في صنعها كل الإدارات الحكومية والقطاع الخاص، والمؤسسات الممثلة للمجتمع المدني.

كل هذا جعلنا نعيش ما يسمى بشعار "العودة الكبرى"، وهي لحظات إنسانية تجسد مثالًا قويًّا في خدمة المجتمع.

فبعد أكثر من ثلاثة عقود من الاستعمار الأرميني، حيث تم طرد أسر وعائلات أذربيجانية من ممتلكاتهم وأراضيهم، كما تقلع الأشجار من جذورها، تحررت المنطقة المسلوبة، واجتمعت جمهورية "أذربيجان" برئاستها ومختلف إداراتها ومؤسساتها وكل

جمهورية بإرادة نجحت في خدمة الإنسان

عندما نتحدث عن جمهورية "أذربيجان"، نكون أمام بلد كل أركانه وزواياه تعكس ملامح إنسانية متجذرة في أعماق التاريخ البشري، نحتاج إلى عقود من الزمن من أجل تقديم فصوله.

التاريخ لم يتوقف عن تحرير سطور واقع هذا البلد وحقائقه، الذي كلما اقتربت منه؛ شعرت أنك في حِضن واقع له من الثقافات الإنسانية ما تجعلك تطمئن على وجودك، وتصر بنشوة جميلة بداخلك على الغوص في كل جزء منه.

كم اعتبرت نفسي محظوظًا ولؤلؤة القوقاز تستضيفني، عبر دعوة منحت لها كل مساحة صدري؛ من أجل إعلان بداية مرحلة تجعلني أكتشف وألامس حقيقة هذا البلد اللين بمجتمعه، والمتطور بطبيعة سياسته وحسن تدبير شؤونه، والمتميز بقيمه وفكره وعلمه وغنى ثقافته.

ومن جهة أخرى، كنت أكثر حظًا وأنا ألج أجواء "أذربيجان"، وقد تمكنت من استرجاع وإعادة ما كان قد سلب منها، من أراضي تشكل 20 في المائة من مساحتها الإجمالية، والأمر يتعلق بمنطقة "قراباغ"، بمدنها وقراها ومؤسساتها التي عانت الكثير من الظلم من جراء استعمار قام على الاضطهاد، والرغبة في التطهير العرقي، فحظر الموت ليسلب أرواح أبرياء من الجنود والمواطنين، وبرز التدمير ليلاحق المنازل والإدارات ومؤسسات الدولة، ويدنس المساجد لدرجة حولها لإصطبلات لتربية الخنازير والمواشي.

- أذربيجان.. ثقافة ببعد إنساني

وأنا أقف على جبل شامخ بنسمة روحه حيث مدينة "شوشا" العتيقة بمخزونها الثقافي والحامية لصوامع مساجدها، علمت أنَّ الاستعمار الأرميني الذي تجاوز الثلاث عقود لن يرهق مرة أخرى عاصمة الثقافة لدول العالم الإسلامي في التخلص من مخلفاته، وإعادة ترميم فضائها كصرح ثقافي ببعد تاريخي يميز لؤلؤة القوقاز كواحدة من القيم والأسس الثقافية العظيمة وسط خريطة العالم، وكصانعة لفصل مهم من المنظومة التاريخية البشرية.

ترسم الأرضُ لوحاتِ وجود الإنسان بـ"شوشا" وغيرها من مدن جمهورية أذربيجان الكثيرة؛ لتحرر فصول حكايات بشرية تعاقبت على بناء أركان وزوايا دولة سجلت وما زالت تسجل وجودها، بحبر ذهبي تحرصه النار المتواصلة شعلتها منذ حقب زمنية كثيرة وقرون تشهد حقيقة جمهورية لم تحل على الزمن الراهن من فراغ، ولكن بفضل عوامل كثيرة كان لها التأثيرُ في بناء مخزونها الثقافي الغني والمتنوع وملئه.

يُشَكِّلُ المحتوى الثقافي المتنوع بجمهورية "أذربيجان"، أرضية شهدت ميلاد أسماء وشخصيات كان لبصماتها فعل أساسي ومساهمة فعَّالة في بناء دولة شامخة على جميع المستويات الفكرية

شعيب بغادى
كاتب مغربي

"أذربيجان" لؤلؤة القوقاز التي تحبها الملائكة